

تفسير البحر المحيط

@ 157 % (لئن سخرت أخوا صدق ومكرمة لقد مريت أخوا ما كان يمرىكا % .
وعدى بعلى على معنى التضمين . وكانت قریش حين أخبرهم صلى الله عليه وسلم) بأمره في
الإسراء ، كذبوا واستخفوا ، حتى وصف لهم بيت المقدس وأمر غيرهم ، وغير ذلك مما هو
مستقصى في حديث الإسراء . وقرأ عبد الله فيما حكى ابن خالويه ، والشعبي فيما ذكر شعبة :
بضم التاء وسكون الميم ، مضارع أمرت . قال أبو حاتم : وهو غلط . { وَلَقَدْ رَءَاهُ }
: الضمير المنصوب عائد على جبريل عليه السلام ، قال ابن مسعود وعائشة ومجاهد والربيع .
{ نَزَّلَهُ أُخْرَى } : أي مرة أخرى ، أي نزل عليه جبريل عليه السلام مرة أخرى في
صورة نفسه ، فرآه عليها ، وذلك ليلة المعراج . وأخرى تقتضي نزلة سابقة ، وهي المفهومة
من قوله : { ثُمَّ دَنَا } جبريل ، { فَتَدَلَّى } : وهو الهبوط والنزول من علو . وقال
ابن عباس وكعب الأحمري : الضمير عائد على الله ، على ما سبق من قولهما أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم) رأى ربه مرتين . وانتصب نزلة ، قال الزمخشري : نصب الظرف الذي هو مرة ،
لأن الفعلة اسم للمرة من الفعل . وقال الحوفي وابن عطية : مصدر في موضع الحال . وقال
أبو البقاء : مصدر ، أي مرة أخرى ، أو رؤية أخرى . .
{ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى } ، قيل : هي شجرة نبق في السماء السابعة . وقيل : في
السماء السادسة ، ثمرها كقلال هجر ، وورقها كآذان الفيلة . تنبع من أصلها الأنهار التي
ذكرها الله تعالى في كتابه ، يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً لا يقطعها . والمنتهى موضع
الانتهاء ، لأنه ينتهي إليها علم كل عالم ، ولا يعلم ما وراءها صعوداً إلا الله تعالى عز وجل
؛ أو ينتهي إليها كل من مات على الإيمان من كل جيل ؛ أو ينتهي إليها ما نزل من أمر الله
تعالى ، ولا تتجاوزها ملائكة العلو وما صعد من الأرض ، ولا تتجاوزها ملائكة السفلى ؛ أو
تنتهي إليها أرواح الشهداء ؛ أو كأنها في منتهى الجنة وآخرها ؛ أو تنتهي إليها الملائكة
والأنبياء ويقفون عندها ؛ أو ينتهي إليها علم الأنبياء ويغرب علمهم عن ما وراءها ؛ أو
تنتهي إليها الأعمال ؛ أو لانتهاء من رفع إليها في الكرامة ، أقوال تسعة . .
{ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى } : أي عند السدرة ، قيل : ويحتمل عند النزلة . قال
الحسن : هي الجنة التي وعدها الله المؤمنين . وقال ابن عباس : بخلاف عنه ؛ وقتادة : هي
جنة تأوي إليها أرواح الشهداء ، وليست بالتي وعد المتقون جنة النعيم . وقيل : جنة :
مأوى الملائكة . وقرأ علي وأبو الدرداء وأبو هريرة وابن الزبير وأنس وزر ومحمد بن كعب
وقتادة : جنة ، بهاء الضمير ، وجن فعل ماض ، والهاء ضمير النبي صلى الله عليه وسلم) ،

أي عندها ستره إيواء اﷻ تعالى وجميل صنعه . وقيل : المعنى ضمه المبيت والليل . وقيل :
جنه بظلاله ودخل فيه . وردت عائشة وصحابة معها هذه القراءة وقالوا : أجن اﷻ من قرأها ؛
وإذا كانت قراءة قرأها أكابر من أصحاب رسول اﷻ صلى اﷻ عليه وسلم) ، فليس لأحد ردّها .
وقيل : إن عائشة رضي اﷻ تعالى عنها أجازتها . وقراءة الجمهور : { جَنَدَّةُ الْوَيْ } .
كقوله في آية أخرى : { فَلِلَّهِمْ جَنَدَاتٌ الْوَيْ نُزُلًا } . .
{ إِذْ يَغْشَى السُّدُورَ مَا يَغْشَى } : فيه بإبهام الموصول وصلته تعظيم وتكثير
للغاشي الذي يغشاه ، إذ ذاك أشياء لا يعلم وصفها إلا اﷻ تعالى . وقيل : يغشاها الجم
الغفير من الملائكة ، يعبدون اﷻ عندها . وقيل : ما يغشى من قدرة اﷻ تعالى ، وأنواع
الصفات التي يخرعها لها . وقال ابن مسعود وأنس ومسروق ومجاهد وإبراهيم : ذلك جراد من
ذهب كان يغشاه . وقال مجاهد : ذلك تبدل أغصانها درّاً وياقوتاً . وروي في الحديث : (
رأيت على كل ورقة من ورقها ملكاً قائماً يسبح اﷻ تعالى) . وأيضاً : يغشاه رفرق أخضر
، وأيضاً : تغشاه ألوان لا أدري ما هي . وعن أبي هريرة : يغشاه نور الخلاق . وعن الحسن
: غشها نور رب العزة